مجمع اللغة العربية والمصطلح العلمى

للدكتور محمود مختار •

السيد الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع •

سيداتى وسادتى ضيوف المجمع فى عيده الذهبى • زملائى الكرام •

أحييكم أجمل تحية فى هـذه المناسبة السعيدة فى العيد الذهبى لمجمع اللغة العربية الخالدة ، وبعد .

يقولون إن العلم هو معيار حضارة الأمم وبه تصنف إلى أمم متقـدمة وأخرى نامية وثالثة متخلفة . ومن المعلوم أيضاً أن مطية السير فى ركب العلم هى لغته ، بوصفها الصلة الفكرية بين العلماء بعضهم وبعض ثم بينهم وبين مجتمعهم .

وللعلم لغة تتميز عن لغة الأدب ولغة الدين بمفهوم ذى أبعاد ثلاثة هى : طبيعتها وأسلوبها ومفرداتها ، فطبيعة لغة العلم هى الوضوح التام لفظا ومعنى . وأسلوبها التركيز مع الاستعانة بالرموز والأشكال والرسوم والمعادلات . وأخيراً تأتى مفرداتها وهى المصطلحات التى يتحدد كل منها بمفهوم واحد ودلالة واحدة .

وإذا كان العلم المطلق لا وطن له ولا حدود ، فإن لغته تختلف من مجتمع لآخر ، وتتباين قوة وضعفاً بتباين قوة المجتمع وضعفه . فالمجتمع القوى تغزو لغته العلمية أفاقاً بعيدة وتفرض نفسها على أنماط الحـياة الحضارية بوجه عام والمجتمع الضعيف قد يسلك أحد طريقين : فهو إما أن يعزل لغته العلمية عن مسايرة اللغات العلمية الحية ، فيعزل نفسه عن ركب الحضارة ذاتها ، أو أنه قد ينساق خلف مجتمع متقدم منقادا بلغته العلمية مكتفيا بالتقاط ما يمن به عليه من فتات العلم . ومن الواضح أن كلا من طريقى العزل والانسياق أبغض من الآخر .

(*) ألقى هذا البحث فى العيد الخمسينى للمجمع فى الجلسة السادسة (الختامية) .

وقد يكون من أهم أسباب عجز اللغة العلمية فى مجتمع ضعيف إهمال اللغة القومية فى التعليم وإحلال لغـــة أجنبية مكانها ، والنتيجة الحتمية لذلك هى جمود اللغة القومية واضمحلالها وإنحياز الدارســين لتبعية فكرية أجنبــية تجرهم لنوع من الولاء أو الانتماء لمن استقوا العـــلم بلغتهم . وتلك للاسف إحدى وسائل المجتمع القوى لإحكام قبضته على المجتمع الضعيف .

لأنتقل الآن إلى اللغة العربيـــة لأتبين موقعها من مقتضيات العـــلم ومتطلباته فأقول ، إنها دون شك من أقدر اللغات إيفاء بها . وخير دليل على ذلك هو تألق اللغة العلمية العربية فى عصر النهضة الإسلامية ، التى كتب فيها العرب أعظم المؤلفات العلمية وأخذها عنهم علماء النهضة الأوربية ، وشيدوا بها أسس نهضتهم الحديثة ، وربما كان أروع مثل لذلك كتاب الشفاء لابن سيناء الذى يقع فى أكثر من عشرين مجلدا تناولت شتى مجالات العلوم وترجمت إلى عدد كـــبير من اللغات الأوربية . وقد امتد هذا العصر الذهبى لعدة قرون . ولكن نجمه لم يلبث أن أفل فى عصور الاضمحلال والتخلف ، فأصيبت لغة العلم هى الأخرى بالهزال وبالعقم .

وفى نهاية القـــرن التاسع عشر بدأت صحوة عربية لإعادة اللغة العلمية العربية إلى سابق مجدها ، فنشطت حركة التأليف والترجمة فى علوم الطب والزراعة والصيدلة والفيزيقا والفلك والرياضة ، وظهر عدد من المعاجم العلمية المتخصصة ، ولكن خطى المسيرة لم تلبث أن تباطأت مع بدء نكبة الاحتلال الأجنبي . وتسللت إلى مجتمعنا العربى دعوى عقم العربية وعجزها عن مسايرة ركب الحضارة . وفرض المحتل لغته على التعليم العام والتعليم العالى مركزا على التعليم الهندسى والطبى والأساسى ، أما التعليم الزراعى والتعليم التجارى فقد حاربا هذه الدعوة واحتفظا وما زالا باللغة العربية العلمية .

وفى الثلاثينيات من هذا القرن تعالت الصيحات والنداءات محذرة من أخطار التعليم الجامعى بلغة غير العربية ومنادية بضرورة تعريب التعليم الجامعى فى كافة تخصصاته . وروب قائل يقول إن موضـــوع التعريب فى الجامعات لا يحتاج لأكثر من إصدار تشريع أو قانون يلـــزم الجامعات بتدريس العلوم باللغة العربية . وهذا صحيح تماما ، ولكنه لا يعدو أن يكون نقطة بداية فقط ، أو أنه الضوء الأخضر الذى يفتح الطريق للسير فقط . أما الطريق ذاته فله ضوابط وأحكام يجب أن يلتزم بها من يطرقه ليبلغ مداه بنجاح . ولدينا تجربة حية على ذلك ، فقد سبق لأول جامعة فى مصر والعالم العربى أن نصت

فى صدر قانون إنشائها من نحو نصف قرن أو يزيد على أن تكون لغة التدريس فيها هى العربية، ولكنها تحفظت تخوفا من أخطار العجلة ، فأجازت التدريس بلغة أجنبية إذا لم تكتمل للدراسة بالعربية كل مقوماتها . وفعلا كان هـذا التشريع فتحا للطريق أمام الجامعيين وحفزا لهم على ارتياده ، ولكن المعوقات كانت أكبر من جهدهم . فالتعليم الجامعى فى العلوم الأساسية والتطبيقية الحديثة كان هو نفسه جديدا عليهم ، وكانت الأساتذة والمراجع والكتب كلها بلغة أجنبية ، فأبطأت موجة التعريب من خطاها حتى بتضح مسارها وسط عاصفة عاتية من تطور سريع فى العلـوم التقليدية وظهـور علوم بينية وعلوم جديدة ، وما صحب ذلك كله من أنهار مصطلحات علمية جديدة لم تتمكن اللغة العربية العلمية من استيعابها ومواجهتها فى وقت قصير . وقد رأت بعض الجامعات فى الوطن العربى بدافع من القومية العربيـة المتحمسة تجاوز هـذه العقبات وفرض التعليم الجامعى كله بالعربية بتشريع ملزم ، دون اعتبـار لاستكمال مقوماته . فعزلت علماءها عن ركب العلم الحديث .

ولا يتسع المجال هنا لتناول كافة المقومات للتعريب بالبحث والتحليل، واكتفى بإلقاء الضوء على ما يحتل منها المقام الأول فى الأهمية وهى :

- وضع المصطلحات العلمية الموحدة على مستوى الوطن العربى
- تشجيع التأليف والترجمة العلمية :
- تطويع اللغة العلمية العربية لمتطلبات العلوم الحديثة .
- العناية بلغة أجنبية حية إلى جانب العناية باللغة العربية .

ومن الواضح أن هذه المقومات الأربعة تمثل أهم مركبات البناء المتكامل لصرح تعريب التعليم الجامعى ، ويأتى وضع المصطلحات العلمية فى المقام الأول منها بوصفها اللبنات التى يقوم بها البناء . وسوف أقتصر فى حـديثى اليوم عن هذا المقوم الأساسى وما تبذل فيه من جهود دون انتقاص بطبيعة الحال من أهمية المقومات الثلاثة الأخرى التى قد يحتاج كل منها لأكثر من حديث منفصل .

والحديث عن المصطلحات العلمية العربية ليس جديدا علينا، فقد سبق أن تناولته هيئات علمية عديدة ومجامع للغة العربية وأفراد كثيرون فى الوطن العربى الكبير . وعقدت له المؤتمرات والندوات وألقيت الأحاديث وكتبت المقالات التى يضيق المقام عن حصرها، ولكن معظم هذه الجهود ظلت حبيسة المجلات والملفات، وظل التعليم الجامعى يعانى مرضه المزمن بلغة أجنبية . وإذا تقصينا أسباب هذا التعثر فى محاولة لعلاجه برز لنا أكثر من سبب :

أولا : إن المصطلحات قد وضعت بجهود فردية مرتجلة غالبا ، قام بها لغوى أو علمى بمفرده . ولا يخفى أن أى جهد فردى قد يخطئ مرة بقدر ما قد يصيب أخرى . والطريق الأصوب إذن ، هو تضافر مجموعات من العلميين واللغويين فى كيان متكامل يظللهم جميعاً هيئة موحدة للتنسيق .

ثانيا : ظهور المصطلح الأجنبى المتخصص الواحد فى معظم المعاجم العلمية بعدد من المقابلات العربية ، مما يترتب عليه زيادة البابلة فى أى المقابلات أصلح . وبالتالى زيادة مشاكل التأليف والترجمة والتعريب ، والطريق الأمثل إذن هو الاقتصار على مصطلح عربى واحد ، مقابل المصطلح الأجنبى الواحد المتخصص ، وهذا يستلزم هيئة موحدة للإشراف والتقنين .

ثالثا : ظهور المصطلحات فى المعاجم العلمية العربية غير معرفة ، مما يترتب عليه موض المعنى المقصود واللبس ، فتعريف المصطلح هو أشبه بالمذكرة التفسيرية التى تلحق بالقانون لإيضاحه .

رابعا : عدم وجود نهج أو أسلوب موحد متعارف عليه يلتزم أو يستنير به واضع المصطلح وينأى به عن الارتجال أو التزمت ، سواء كان هذا التزمت تمسكا بقديم مهمل أو بمغالاة فى تعريب مطلق .

وقد كانت النتيجة الطبيعية لهذه العلل فتور الدعوة لتعريب التعليم الجامعى ، بل وظهور لغة مولدة عقيمة تمتزج فيها لغة محلية عامية بلغة أجنبية ركيكة ضعيفة . وقد استشرت هذه اللغة — إن جاز لنا أن نسميها لغة — فى جميع الكليات العلمية الجامعية فى معظم أرجاء الوطن العربى .

فى خضم هذه الزوبعة العاتية ، ولد مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ خمسين عاما . ووكل إليه إلى جانب اضطلاعه برسالته الحيوية فى الحفاظ على سلامة اللغة العربية أن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ملائمة للحياة العصرية الحديثة . ورأى المجمع أن المصطلحات العلمية هى العقبة الأساسية التى عليه مواجهتها . فاتخذها هدفا رئيسيا من بين أهدافه ، ووفر لها الإمكانات والمقومات التى تكفل لها الصلاحية وتقيها أسباب التعثر التى أشرت إليها من قبل . وسار المجمع متأنيا فى أول الأمر حتى استقرت خطاه، ثم اتسعت وتسارعت شيئاً فشيئاً يحدوها تعاون وثيق بالهيئات العلمية ويحفزها توفيق مطرد .

فأنشأ المجمع لكل فرع من فروع العلوم الأساسية والتطبيقية لجنة علمية لغوية متخصصة تجمع عددا من اللغويين والعلميين من بين أعضائه وعددا من الخبراء المتخصصين فى المادة ، وتزايد عدد هذه اللجان تباعا لتغطى معظم المجالات العلمية حتى بلغ عددها الحالى تسع لجان يعمل فيها نحو ٣٠ عضوا مجمعيا و٥٠ خبيرا . وكان أحدثها لجنة المعالجة الإلكترونية للمعلومات أو ما يمكن أن نطلق عليها اسم لجنة الحاسبات الإلكترونية . وهذه اللجان التسع هى :

لجنة الرياضيات بفروعها .

لجنة الفيزيقا :

لجنة الكيمياء والصيدلة .

لجنة الهندسة بفروعها .

لجنة الجيولوجيا .

لجنة الأحياء والزراعة بفروعها .

لجنة الطب بفروعه :

لجنة البترول :

لجنة المعالجة الإلكترونية للمعلومات .

ومهمة كل لجنة من هذه اللجان المتخصصة هى إعداد المصطلحات إعدادا علميا ولغوياً دقيقاً وتعريفها تعريفاً معجمياً ، وذلك وفق نهج مفصل ومحدد رسمه لها مجلس المجمع وأقره مؤتمره العام .

وتعرض أعمال اللجنة المتخصصة على مجلس المجمع لمناقشتها وتهذيبها أو تعديلها أو ردها إلى اللجنة لإعادة نظرها . ويلى ذلك خطوة هامة وأخيرة وهى عرضها على المؤتمر السنوى للمجمع فى حضور أعضائه من مجامع اللغة العربية الشقيقة ؛ لمناقشتها على مستوى عربى شامل وتقنين صلاحيتها للاستعمال على المستوى العربى .

وباكتمال هذه المراحل فى صياغة المصطلح العلمى وتقنينه وتعريفه ، يسجل فى النشرة الدورية للمجمع ليكون فى متناول الجميع ، كما يسجل فى جزازات ترتب وفق الحروف الهجائية فى مجموعات متخصصة . وتحفظ بادارة خاصة بالجزازات والتى نأمل أن يوفر لها حاسب الكترونى فى القريب لتيسير الرجوع إليها ودقة العمل بها .

أما النهج المفصل لاختيار المصطلح الذى أشرت إليه فقد أولاه المجمع اهتماما خاصا : فعهد بوضعه إلى لجنة خاصة من بين أعضائه العلميين واللغويين ، فى ضـــوء التوجيهات والتوصيات التى كانت ترد تباعا فى جلسات المجمع وما سبق من أحاديث وبحوث فى مؤتمرات التعريب فى الوطن العربى . وخرجت اللجنة من كل ذلك بمشروع نهج لاختيار المصطلح العلمى ، عرض على المجلس فناقشه ، وانتهى فيه إلى صورة سجلت فى محاضرة وأخرجت فى نشرة خاصة مفصلة وزعت على نطاق واسع فى الوطن العربى : ومازالت متاحة لمن يطلبها :

وأستأذنكم فى أن أوجز ماجاء بهذه النشرة بقدر استطاعتى : فقد استهلت بذكر مبادئ مستقاة من قانون إنشاء المجمع ، وهى الحفاظ على التراث العربى والوفاء بأغراض التعليم الجامعى ومسايرة النهج العلمى العالمى : ثم تناولت النشرة بعد ذلك أسلوب اختيار المصطلح نفسه فى كل من حالتى ترجمة المصطلح وتعريبه ، وأحاطت كلا منهما بضمانات وأحكام .

وبدأت بالترجمة فآثرتها على التعريب ما أمكن ، واشترطت فيها أن يتفق المصطلح العربى مع المدلول العلمى للمصطلح الأجنبى دون التقيد بدلالته اللفظية . فلا يقال مثلا تحت التيار مقابل down stream بل يقال مهبط التيار ، ولا يقال قنبلة راديوم مقابل radium bomb بل يقال مصدر إشعاع راديومى .

وأوصى النهج بالحفاظ على الألفاظ العربية الأصل التى انتقلت إلى اللغات الأجنبية مثل القرنية مقابل cornea . وأجاز التحلل من القديم إذا ثبت عدم صلاحيته للاستعمال الحديث مثل الغول مقابل alcohol . كما أوصى بإيثار الألفاظ غير الشائعة لأداء المصطلحات العلمية ذات الدلالات المحددة مثل لفظ كم مقابل quantnm بدلا من كمية . ونص على تجنب الألفاظ الغريبة والمبتذلة .

ولما كانت اللغة العربية تتميز بطواعية كبيرة للاشتقاق والتصريف والتوليد والقياس والمجاز لاتتوافر فى أية لغة أخرى ، فقد أوصى النهج بالاستفادة من هذه الميزة على أن يوليها اللغويون فى اللجان عناية خاصة وييسرونها ما أمكن ، حتى لايلجأ العلميون لاستسهال التعريب .

أما تعريب المصطلح فقد أجازه النهج إذا لم تتيسر الترجمة ، وأخضعه لضوابط كذلك . منها أن يكون المصطلح الأجنبى مشتقا أصلا من لفظ إغريقى أو من لغة علمية حية وانتشر استعماله عالميا . وعلى أن يقاس المصطلح المعرب على اللسان العربى

ويكون قريبا ما أمكن من الأصل الإغريقى ، مثال ذلك لفظ فيزيقا مقابل physics بدلا من فيزياء .

وأوصى النهج باعتبار المصطلح المعرب لفظا عربيا تجرى عليه قواعد اللغة العربية مثل التأيين والبسترة والأكسدة . وأوصى بإقرار مادرج المختصون على استعماله من مصطلحات خاصة بهم أو مقصورة عليهم مثل فلورة وهدرتة مقابل fluorescence - hydration . وتصحيح الخطأ الشائع أينما يوجد مثل حاسب إلكترونى بدلا من عقل إلكترونى .

وفى كلتا حالتى ترجمة المصطلح وتعريبه أوجب النهج تحديد الدلالة العلمية له تحديدا علميا دقيقا وذلك بضرورة وضع تعريف علمى له، مصاغا بأسلوب معجمى: فالمصطلح بدون تعريف كالبناء بدون أساس .

ونص النهج على إفراد المصطلح الواحد بلفظ واحد : ما أمكن لتسهيل الاشتقاق منه والنسبة والإضافة إليه وتثنيته وجمعه . فلايقال مقياس درجة الحرارة بل ترمومتر : وأوصى النهج بتوحيد المصطلحات المشتركة بين المواد المختلفة إلا إذا أختلفت دلالاتها .

ومن المعلوم أن التركيب والنحت فى اللغة العربية غير مستحب لأنه يجافى طبيعتها. ولكن اللغة العلمية تضطر أحيانا لقبوله ، بل وتميل للتوسع فيه . وقد سبق أن استساغت اللغة ألفاظا مركبة كالبسملة والدرعمى والبرمائى .

وأجاز النهج كذلك استخدام السوابق واللواحق والتوسع فيها لمواجهة السيل الجارف من الألفاظ العلمية الحديثة . ولكنه أحاطها أيضا بضوابط تتفق وطبيعة اللغة العربية وأحكامها . منها قصر إلحاق السابقة العربية على لفظ عربى مثل لاسلكى ، وقصر إلحاق السابقة المعربة على لفظ معرب مثل بيوفيزيقا . وهذا معناه عدم المزج بين شقين لمصطلح واحد منحوت من لفظين مختلفى الأصل ، ولأهمية موضوع السوابق واللواحق أفرد له المجمع نشرة خاصة وذيلها بمجموعة كبيرة من الأمثلة فى شتى العلوم .

سيداتى وسادتى :

هذا هو جانب واحد من جهود المجمع فى إعداد المصطلح العلمى ومايستلزمه من أحكام وضوابط لاختياره ولتعريفه ولتقنينه . يبقى بعد ذلك جانب آخر هام ، وهو نشر

هذه المصطلحات بإصدارها فى معاجم علمية متخصصة . وهذه أيضاً قد تبناها المجمع فأنجز منها هذه المعاجم :

- معجم الفيزيقا النووية ويشمل نحو ١٢٠٠ مصطلحا
- معجم الجيولوجيا ويشمل نحو ٤٥٠٠ مصطلحا .
- معجم ألفاظ الحضارة والفنون ويشمل نحو ١٢٠٠ مصطلحا .
- معجم الفلسفة ويشمل نحو ١٢٠٠ مصطلحا .
- المعجم الطبى (جزء أول) ويشمل نحو ٨٠٠٠ مصطلحا .
- معجم الفيزيقا الحديثة (جزء أول) ويشمل نحو ٤٥٠٠ مصطلحا .
- معجم الكيميا والصيدلة (جزء أول) ويشمل نحو ٥٠٠٠ مصطلحا .
- معجم الأحياء والزراعة (جزء أول) ويشمل نحو ٥٠٠٠ مصطلحا .
- معجم علم النفس والتربية (جزء أول) ويشمل نحو ١٠٠٠ مصطلح .

وهناك عدد من المعاجم العلمية فى مرحلة الإعداد باللجان المختصة .

سيداتى وسادتى :

هذه صفحة من إنجازات مجمعنا الخالد تناولتها فى إيجاز أرجو ألا يكون مخلا ، بها أثريت اللغة العربية بعشرات الآلاف من المصطلحات العلمية الحديثة فى المجالات العلمية البحتة والتطبيقية ، قياما بواجب المجمع نحو جعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون والحضارة الحديثة ، وفتحا لطريق تعريب التعليم الجامعى وتذليلا لأكبر معوقاته .

ويشرفنى أن أختم حديثى بتوجيه التحية والتقدير لمجامع اللغة العربية الشقيقة فى دمشق وبغداد وعمان وإلى مركز تنسيق التعريب بالرباط وجميع العاملين فى ميدان التعريب والمصطلحات العلمية . وأدعو لتضافر الجهود بين العلميين العرب بعقد المؤتمرات العلمية بينهم باللغة العربية ، وعقد ندوات للتعريب والمصطلحات بصفة دورية لمتابعة الجديد فيها . وفى هذا كله ما يحفز الهيئات الجامعية على فرض تعريب التعليم فيها دون حاجة لتحفظ ، وبه يوثق الرباط بين أفراد الأمة العربية ويعلو شأنها بين الأمم المتحضرة لتكون خير أمة أخرجت للناس .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدكتور محمود مختار
عضو المجمع